

مساهمة المرأة في الحركة العلمية من خلال كتاب ((أنباء الغمر بأبناء العمر))
لابن حجر العسقلاني (773هـ/852م)
(دراسة تاريخية)

م.رشا عيسى فارس

مركز أحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

(خلاصة البحث)

إن البحث في مواضيع كهذه يشكل إنجازاً مهماً في دراسة الحياة العلمية في ذلك العصر وخصوصاً وهي تتناول ما تميزت به النساء من مكانة علمية واجتماعية في تلك الحقبة . ولم تحظ دراسة العلماء الذين نبغوا في هذا العصر بما حظي به العلماء الأوائل ، بسبب شيوع خطأ تجاه بعض الباحثين مفاداً أن الحركة العلمية والفكرية في تلك الحقبة اتصفت بقلّة الإبداع وهو ما إليه أشار (فيليب حتى) بقوله " هو عصر جمع وشرح وتفسير ، لا عصر أبداع واستنباط " ⁽¹⁾ ، لذا يمكن القول : إن البحث في هذا الحقل من حقول الدراسات التاريخية ما يزال بحاجة الى كثير من جهود الباحثين، من خلال دراساتهم القادرة على توضيح الدور الفاعل للشخصيات العلمية ولاسيما النسوية منها ممن كان لهم اثر في الحياة العلمية في مختلف حقب الحضارة العربية الإسلامية .

المقدمة

تعد دراسة مصنفات المؤرخين العرب والمسلمين ونتاجاتهم في مجال الكتابة التاريخية واحدة من أكثر الدراسات أهمية في تحديد سمات التاريخ العربي الإسلامي ، وترشيح قواعد منهج البحث التاريخي العربي .

ولذلك اخترنا البحث في مساهمة المرأة في الحركة العلمية من خلال كتاب (إنباء الغمر بأبناء العمر) وقد تناولنا فيه السيرة الشخصية والعلمية لعدد من العائلات والمحدثات اللواتي تركن أثراً واضحاً في الحياة الفكرية والثقافية فدي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري .

وتأتي أهمية هذا الموضوع من كون ابن حجر يعدّ واحداً من أبرز العلماء والمفكرين العرب في تلك الحقبة ، والذي نبغ في مجالات علمية عدة كالحديث والفقه والتاريخ وغيرها ، كما إن كتابته (إنباء الغمر) يعد واحداً من أشهر وأوسع مؤلفات كتب التراجم ، إذ صنف وترجم فيه لعدد كبير من النساء ، فضلاً عن وصفه للبلدان والإحداث التاريخية ، وكذلك ذكر القبائل وأنواع المهن والصنائع وغيرها ، ولم يهمل ابن حجر وصف طبائع شخصياته وهياتها، حيث أشار إلى هذا الموضوع وبتفصيلات دقيقة ، وبذلك يعد كتابه هذا مؤلفاً جامعاً للحوادث والتراجم على حد سواء ، وعن ذلك يقول روزنثال " ... التراجم أثبتت صور التعبير التاريخ " (2) .

ابن حجر السيرة والمكانة العلمية

الحافظ شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن حجر الكتاني العسقلاني المصري الشافعي (3) . ولد في الثاني عشر شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ونشأ بها يتيماً، ويعود لقبه (العسقلاني) نسبه إلى مدينة عسقلان التي تقع بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبين حبرين (4) .

وقد اجتمعت عنده علوم كثيرة استقاها من عدة روافده أهمها : علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأدب والعروض ، وعلوم الحديث ، وكذلك ارتحاله الى بلدان مختلفة كبلاد الشام والحجاز واليمن ومكة وتنقله بين هذه النواحي فضلاً عن

ملازمته العلماء والسماع منهم ، واجتمع له بذلك ما لم يجتمع لغيره وأدرك من الشيوخ وسمع عن الكثير منهم كالبلقيني والبرهان . الانباسي ونور الهيثمي وآخرين من العلماء ، وأصبح حافظاً للإسلام ، وقدوة الأمة وعلامة العلماء وانتفع به الطلبة وحضر دروسه غالب علماء عصره⁽⁵⁾ .

دور ابن حجر في ثقافة أسرته

تشير المصادر التاريخية الى أن أسرة ابن حجر قد جمعت بين العلم والحياة العامة ، وقد تزوج من أنس ابنة القاضي كريم الدين عبد الكريم بن احمد بن عبد العزيز بن ابي طالب بن سيدهم النستراوي الأصل من أسرهم معروفة بالرئاسة والحشمة⁽⁶⁾ ، وقد حرص ابن حجر على تثقيفها وتعليمها أمور الدين والدنيا فاستدعى لها عدداً كبيراً من الحفاظ والمسندين من مصريين وشاميين ومكيين فأجازوها وقرأ عليها بنفسه صحيح البخاري في رجب وشعبان من كل سنة وكانت تحتفل في يوم الختم بتقديم أنواع من الفاكهة والحلوى وغيرها⁽⁷⁾ ، وقد ولدت له عدة بنات اهتم ابن حجر بتربيتهن التربية العلمية الصحيحة وأولى عناية خاصة بأبنته (زين خاتون) وهي البكر (ت 802هـ) ، فأسمعها على الحافظ العراقي والهيثمي ، وحصل لها على إجازات ، وعلمها القراءة والكتابة⁽⁸⁾ ، أما ابنته الثانية (فرح ، ت 804هـ) التي حصل لها والدها على إجازة مع أمها⁽⁹⁾ ، في حين حصل للثالثة من بناته (عالية) ، (ت 807هـ) ، على إجازة من جماعه⁽¹⁰⁾ ، أما (رابعة) ، (ت 811هـ) فقد حصل لها على إجازات من المصريين والشاميين وسمعها على المراغني بمكة سنة (815هـ)⁽¹¹⁾ ، وبهذا يكون الحافظ ابن حجر قد وضع البنية الأولى لبناء أسس قيومة للحياة العلمية مبتدأ مهمته من متابعتة الشخصية لعائلته لهم

من خلال تثقيفه بأصول ومفاهيم صحيحة قائمة على السماع ومنح الأجازات لبناته وزوجته .

لم يفت على ابن حجر في كتابه (إنباء الغمر) الإشادة بجهود النسوة المحدثات اللواتي ظهرن في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وقد من الشئ الكثير لعلم الحديث ومنح الأجازات سوا كان من حافظ أو من عدد كبير من العلماء.

لقد شهدت الأجواء العلمية في القرن التاسع الهجري شيوع ظاهرة التعلم والتخصص من النساء لكثرة حب التعليم وللفضل والأجر، كما أن المجتمع آنذاك كان بحاجة إلى متخصصات لإدارة المؤسسات التعليمية والتربوية والمدارس والربط و(الخانقة) وقد نال علم الحديث اهتمام اغلب النساء واقبلن على تعلمه ومن ثم تعليمه ، طلبا لما لهذا العلم من فضل واسع إضافة إلى كونه سمة من سمات ذلك العصر الذي ظهرت فيه الموسوعات والمدونات مثل كتاب (أنباء الغمر) والذي خرج لنا فيها ابن حجر عدداً كبيراً من النساء المتخصصات في علم الحديث .

النساء اللاوتي ارج لهن ابن حجر

- 1- بركة خاتون بنت عبد الله المولودة والده الملك الاشرف تزوجت الجائ في سلطنة ولدها ، وماتت في عصمته في ذي القعدة سنة (774هـ) ، ولها مدرسة بالتبانة ، وكان الأشرف كثير البر لها بحيث انه أعادها مرارا حتى بالروضة مقابل مصر⁽¹²⁾ .
- 2- فاطمة بنت نصر الله بن أبي محمد بن محمد اللامي، أسمع الواني ، وكانت خير دينه ماتت في صفر سنة (774هـ)⁽¹³⁾ .

- 3- ستيته بنت الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبتي ، أسمعها أبوها من حسن بن عمر الكردي وحدثت ، وهي أم بدر الدين ابن أبي الفتح وأم سرى الدين ، ماتت في ذي القعدة سنة (776هـ)⁽¹⁴⁾ .
- 4- كلثم بنت محمد بن محمود بن معبد البعلية ، روت عن الحجار وعنهما روى ابن بردس وغيره ، ماتت في صفر سنة (777هـ)⁽¹⁵⁾ .
- 5- فاطمة بنت أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري أم الحسن بنت أبي العباس بن الرضي الإمام ، سمعت من جدها الرضي وحدثت وماتت في سنة (779هـ)⁽¹⁶⁾ .
- 6- فاطمة بنت الشهاب أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الحارزي المكية ثم المدينية ، سمعت على جدها الرضي الطبري الكثير ، وسمعت على أخيه الصفي حضوراً ، وأجاز لها الفخر التوزري والعفيف الدلاصي و أبو بكر الرشي والمعظم وآخرون وكانت خير وتوفيت في شوال سنة (783هـ) عن ثلاث وسبعين سنة⁽¹⁷⁾ .
- 7- عائشة بنت الحسن بن علي الدمشقية ، ولدت بعد العشرين وسمعت بأفاده ولدها العلامة شمس الدين ابن الجزري من أصحاب الفخر وماتت في ربيع الأول سنة (785هـ)⁽¹⁸⁾ .
- 8- عائشة بنت السيف أبي بكر بن عيسى بن منصور بن قواليج الدمشقية ، روت عن القاسم بن مظفر والحجار وغيرهما وحدثت ، وماتت في شوال سنة (793هـ)⁽¹⁹⁾ .
- 9- أمة الرحيم ، ويقال أمة العزيز بنت الحافظ صلاح الدين العلاني اسمعها من الحجار ، وغيره وحدثت وماتت في التاسع من شوال سنة (795هـ)⁽²⁰⁾ .

10- زينب بنت أبي البركات البغدادية ، وكانت صالحة فبني لها رباط بجوار خانقاه بيبرس بنته لها الست تذكّار بنت الملك الظاهر بيبرس وصار كالمودع للنساء والأرامل وهو المعروف برواق البغدادية توفيت في سنة (796) ⁽²¹⁾ .

11- ست الركب وهي أخت الحافظ ابن حجر ⁽²²⁾ ، أجاز لها في السنة التي تليها أبوها ، ومن مكة ابن عبد المعطي ، ومن المدينة نور الدين الزندي ، ومن المجاورين الكرمانى شارح " البخاري " ومن حلب محمد والحسن ابنا رافع ومن بعلبك : العماد بن بردس ومن تونس شمس الدين بن مرزوق ومن مصر: الحافظ زين الدين العراقي ، وأبو الفرج ابن الشيخة وصلاح الدين بن مسعود وآخرون ، فنشأت نشأة حسنة وتعلمت الخط وحفظت الكثير من القرآن ، وأكثرت من مطالعة الكتب ، فمهرت في ذلك جداً ، بحيث كان يظن من يراها تقرأ من الكتاب أنها تحفظه لجوده استخراجها ، وقد رثاها البدر البشتكي بقوله:

وبالنوى يرمى بلال لب	كم ذا يزيد الدهر في حربي
يامهر ضاع الطيب في التراب	طيب ثنا أودعته في الثرى
فللفظ سر سيدة الركب ⁽²³⁾	كم عبرة جاريها بالأسى

12- خديجة بنت الإمام نور الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن قوام البالسة ثم الصالحية سمعت من زينب بنت الخبار وحدثت ، وماتت في شوال سنة (803هـ) ⁽²⁴⁾ .

13- زينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عباس ابن جوعان سمعت من الحجار وعبد القادر بن الملوك وغيرها ، وقد سمع عليها ايضاً الحافظ ابن حجر وتوفيت في شوال سنة (803هـ) ⁽²⁵⁾ .

- 14- شمس الملوك بنت ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن يعقوب ابن الملك العادل الدمشقية روت عن زينب بنت الكمال وقد حصل منها الشيخ ابن حجر على إجازة وتوفيت في شعبان سنة (803هـ)⁽²⁶⁾ .
- 15- فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسية ثم الصالحية أم سيف ، كان أبوها محتسب الصالحية ، وهم عم الحافظ شمس الدين ابن عبد الهادي ، أسمعته الكثير على الحجار وغيره وأجازها أبو نصر ابن الشيرازي ويحيى بن سعيد وآخرون من الشام وحسن الكردي وعبد الرحيم النشاوي وآخرون من مصر، وقد قرأ عليها الحافظ ابن حجر الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية ، وقد أثنى عليها بقوله: نعم الشیخة كانت وماتت في شعبان سنة (803هـ) وقد جاوزت الثمانين⁽²⁷⁾ .
- 16- مريم بنت أحمد بن أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد ابن إبراهيم الاذري أم عيسى ، سمعت الكثير من علي بن عمر الواني وأبي أيوب الدبوس والحافظ قطب الدين الحلبي وناصر الدين بن سمعون وغيرهم وأجازها التقي بن الصائغ وغيره من المسندين بمصر والحجاز وغيرهما من الأئمة بدمشق ، وقد خرج لها الحافظ ابن حجر معجما في مجلده وقرأ عليها الكثير من مسموعاتها وأشياء كثيرة بألاجازة ، عاش اربعاً وثمانين سنة و اثنى عليها ابن حجر قوله : ونعمت الشیخة كانت ريانة وصيانة ومحبة في العلم ، وهي آخر من حدث عن أكثر مشايخها المذكورين⁽²⁸⁾ وقد توفيت في سنة (805هـ) .
- 17- فاطمة بنت احمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله ابن جعفر بن زيد الحسينة الحلبية أم الحسن آخت الشريف نقيب الاشرف ، ولدت سنة اثنين أو ثلاث وثلاثين ، سمعت على جدها لأمها جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب محمود

- في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وأجازها المزي وجماعة ، وحدثت بحلب قال عنها القاضي علاء الدين ، وكانت عاقلة دينه وتوفيت في سنة (813هـ) ⁽²⁹⁾ .
- 18- عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قرامة ، المقدسي الأصل ، وقد أسمعت صحيح مسلم على جماعة من أصحاب ابن عبد الدائم ومعظم السيرة على عبد القادر بن الملوك ، وشاركت أختها فاطمة في الكثير من المسموعات والمجازات وتفردت ، ومن أجاز لها إبراهيم بن صالح بن العجمي من حلب والشيخ شرف الدين البارزي من حماة ، والبرهان الجبري من بلد الخليل وعبد الله بن محمد بن يوسف من نابلس وكانت سهلة في الإسماع سهلة الجانب ، وتوفيت في ربيع الأول سنة (816هـ) ⁽³⁰⁾ .
- 19- فاطمة بنت الخليل بن أحمد بن أبي الفتح المقدسية ثم القاهرية أجازها أكثر شيوخ القباني الذين ذكروا قبل ، وخرجت لها مشيخة أضفتها الى مشيخة القباني وحدثت بآخره. سمع منها الطلبة، وماتت في أول يوم جمادي الأولى سنة (838هـ) ⁽³¹⁾ .
- 20- بلقيس بنت بدر الدين محمد بن شيخنا سراج الدين البلقيني ، وقد سلك أكثر من عشرين سنة طريق التصوف ولبست الخرقة من جماعة وتسمت بالشيخة وتوفيت في سنة (841هـ) ⁽³²⁾ .

الخاتمة

عرف عن المنهج التعليمي في الإسلام أنه منهج شمولي ، لا يفصل بين علوم الدين والدنيا ، لذلك كان أغلب العلماء الذين ظهروا إبان أدوار الحضارة الإسلامية المختلفة موسوعيين في علومهم سواء أكانوا نساء أم رجالاً ، فجمعوا بين الحديث وحفظ القرآن الكريم . ويتضح من خلال البحث الدور الاجتماعي المتقدم الذي

احتلت المرأة المسلمة في قرن الوصف بكونه واحدا من العصور المظلمة التي مرت بها الحضارة الإسلامية .

وقد بينت دراستنا لجانب ومن هذا العصر ومن خلال كتاب العسقلاني (إنباء الغمر) حقيقة وجود وعي ثقافي واجتماعي كان معروفا لدى طبقات المجتمع في جوانب الحياة كافة خلال ذلك العصر.

لقد خصصنا جزءاً مهماً من البحث للإشارة الى مساهمة المرأة في الحركة العلمية ، وما أدته من دور بارز في إدارة المؤسسات التعليمية والتربوية والمدارس والتي أوضحها الحافظ ابن حجر من خلال ترجمته لعدد كبير من النساء في كتابه سواء كان ذلك من خلال انشاء المؤسسات أو من خلال منح الإجازات للعلماء عن طريق السماع او المشافهة مما يشير الى أهمية الدور الثقافي والعلمي للمرأة العربية المسلمة في تلك العصور .

الهوامش

- 1- السيوطي : انظر المقدمة ، ص11 .
- 2- روزنثال : فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، م1 ، ص141 .
- 3- السخاوي : ج1 ، ص36 .
- 4- ياقوت الحموي : المجلد الأول ، ص88 .
- 5- الشوكاني: محمد بن علي (ت 1250هـ) ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، المجلد الأول ، ص88 .
- 6- السخاوي: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، ج3 ، ص1207-1208 .
- 7- المصر نفسه ، ج3 ، ص1208 .
- 8- عبد المنعم : ابن حجر العسقلاني دراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة ، ج1 ، ص99-100 .
- 9- العسقلاني : انباء الغمر بأبناء العمر ، مج1 ، ص2 .
- 10- الجواهر والدرر ، ج3 / ص1210 .
- 11- انباء الغمر ، ج8 / ص182 .

- 12- م . ن : ج 1 / 49-48 .
- 13- م . ن : ج 1 / 56 - 57 .
- 14- م . ن : ج 1 / 85 .
- 15- م . ن : ج 1 / 177 .
- 16- م . ن : ج 1 / 255 .
- 17- م . ن : ج 2 / 77 .
- 18- م . ن : ج 2 / 147 .
- 19- م . ن : ج 3 / 190 .
- 20- م . ن : ج 3 / 193 .
- 21- م . ن : ج 3 / 227-226 .
- 22- م . ن : ج 3 / 302 .
- 23- الجواهر والدرر ، ج 1 / 115-144 .
- 24- أنباء الغمر : ج 4 / 276 .
- 25- م . ن : ج 4 / 279 .
- 26- م . ن : ج 4 / 280 .
- 27- م . ن : ج 4 / 314-313 .
- 28- م . ن : ج 5 / 127-126 .
- 29- م . ن : ج 6 / 255 .
- 30- م . ن : ج 7 / 133-132 .
- 31- م . ن : ج 8 / 266-265 .
- 32- م . ن : ج 9 / 20 .

المصادر والمراجع

- 1- الحموي ، ياقوت : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ - 1228م) ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، د.ت .
- 2- روزنثال : فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ومراجعة محمد توفيق حسين (بغداد ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1963م) ، م 1 ، ص 141 .
- 3- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 821-902هـ) ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، تحقيق ، إبراهيم باجس عبد الحميد ، دار ابن احزم (بيروت- 1999 م) .

- 4- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 821-902هـ) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .
- 5- السيوطي : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ت(911هـ - 1505م) ، نظم العقيان في أعيان الاعيان ، حرره الدكتور فليب حتي (بيروت المكتبة العلمية 1927م) .
- 6- الشوكاني: محمد بن علي (ت 1250هـ) ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، دار المعرفة ، بيروت.
- 7- عبد المنعم :شاكر محمود ، ابن حجر العسقلاني دراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة ، الجمهورية العراقية ، وزارة الأوقاف دار الرسالة للطباعة بغداد ، 1978 .
- 8- العسقلاني : شهاب الدين احمد بن علي بن حجر (ت 852هـ/1448م) ، انباء الغمر بأبناء العمر ، نشر بعناية الدكتور عبد المعيد خان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ، الطبعة الاولى ، (1387هـ -1967م) .

**The contribution of women in the scientific
movement through the book ((news immersion
children of age)) by Ibn Hajar al (773 e / 852 e)
(Historical Study)**

Teacher Assistant Rasha Issa Fares
Center neighborhoods of Arab Scientific Heritage
University of Baghdad

(Abstract Search)

The search in these subjects makes an important accomplishment in the study of the scientific life in that (era) specially what the women had from a scientific and social level in that (age) the studies of the scientists which were brilliant in the this era never had the same as the first scientists . because of the common mistakes toward some researchers says that the scientific thoughts in that era named in less creativity which Philp refers to it by saying “ it is the age of collect and explain not the age of creativity “ so we can say in the search of this field of historical studies still need much efforts from researchers , through their studies which are capable to show the active part for scientists personnales specially women who had a major effort in scientific life in the different eras of the Islamic and Arabic cultures .